الوطن العربي

-1- يجسد منجماً هائلاً من الثروات والقيم يخطف ببريقه أبصار الاحتكـاريين العالميين وهو جزء بالغ الأهمية من العالم النامي وله في مخططات المستعمرين اعتبار خطير.

إسرائيل قاعدة من نوع خاص بيد الإمبريالية العالمية والأميركية خاصة ويستخدمها الاستعمار الحديث لخدمة مشاريعه ولاستنزاف قوانا المادية ومنعنا من التقدم.

يمتد الوطن العربي على مساحة شاسعة من الأرض لا تضاهيها من حيث موقعهـا أرض أي وطن من الأوطان الأخرى. فهي تطل على أواسط أفريقيا في الوقت الذي لا تبعد فيه كثيـراً عن أواسط آسيا. وتلامس من جهة سفوح القفقاس بينما تمتد من الجهة المقابلة لتـصل إلـى مشارف بحيرة فكتوريا في خط يقع في منتصف المسافة بين البحر الأبيض المتوسـط ورأس الرجاء الصالح في أقصى جنوبي أفريقيا. وتطل على محيطين وبحرين بشواطئ يقرب طولها من طول نصف محيط الكرة الأرضية: تطل على المحيط الأطلسي والمحيط الهندي والبحـر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر الذي هو بحر عربي بكل شواطئه تقريبـاً. ويقـع الـوطن العربي بين أوروبا والعالمين الآسيوي والأفريقي وفيه الممرين البحريين العالميين مضيق جبل طارق وقناة السويس مع كل الموانئ البحرية والجوية العديدة الواقعة على عـدد كبيـر مـن خطوط المواصلات العالمية.

ويجسد الوطن العربي بثرواته الزراعية والمعدنية والبترولية وبقوى العمل الإنساني التي يمكن استنزافها من مائة مليون عربي منجماً هائلاً من الثروات والقـيم يخطـف ببريقـه أبـصار الاحتكاريين العالميين. ولسنا هنا في مجال تفصيل القيم الاقتصادية لوطننا الكبيـر، ويكفينـا للدلالة على مدى اهتمام المستعمرين بثرواتنا أن نضع أمام القارئ العربي العبارة التالية التي كتبتها الموسوعة الإنجليزية بريتانيكا التي تنطق بلسان الرأسمالية الاحتكارية عن صنف واحد من ثرواتنا، عندما تكلمت عن البترول، القوة المحركة للحضارة الحديثة في المجلد 17 صفحة 665: "لقد انقلب ميزان السوق العالمي باحتياطي الشرق الأوسط من البترول الذي يبلـغ 93 ملياراً و265 مليون برميل أي ما يزيد عن 60 بالمئة من مجمل الاحتياطي العالمي (ولقد قدر ولاس برات العالم الجيولوجي الأميركي في أوائل عام 1956 هذا الرقم بـ ـ 121 مليـاراً و 700 مليون برميل أي حوالي 70 بالمئة من مجمل تقديره الاحتياطي العـالمي البـالغ 172 ملياراً و100 مليون برميل)."

فالعالم العربي جزء بالغ الأهمية من العالم النامي وله في مخططات المستعمرين اعتبار خطير من الدرجة الأولى، وانتصار حركة التحرر الوطني فيه انتصاراً جذرياً بفـصله عـن شـبكة الرأسمالية العالمية يعني:

اولاً – انفراط عقد الشبكة الآنفة الذكر في منطقة استراتيجية خطيرة تفصل العالم النـامي فـي أفريقيا وآسيا عن العالم المتقدم في أوروبا وأميركا. وبهذا تصبح بقايا شبكة الرأسـمالية العالمية محصورة تقريباً بالعالم الجديد عالم الاشتراكية مما يضاعف أضعافاً مـضاعفة شدة حركات التحرر الوطني فيما بقي من العالم الرأسمالي مع صعوبات المـستعمرين والرجعية في هذا العالم.

ثانياً – حرمان الاحتكاريين من ساحة مترامية الأطراف لممارسة أعمال النهـب والقرصـنة، الأمر الذي ينقص دخلهم من الثروات والقيم ويضعف قواهم المادية.

ثالثاً – حرمان الاحتكاريين من منطقة استراتيجية عسكرية يحاصرون بها كلاً من العالم النامي والعالمي الاشتراكي.

فلهذه الأسباب وغيرها نجد أن الاستعمار فعل ويفعل كل ما بوسعه لصيانة وتعميق كـل مـا أورثتنا إياه عهود التخلف من تمزق في بلادنا ومجتمعنا. وهو لكي يـضمن سـيطرته علينـا يعتمد على القوى التالية وعلى غيرها من القوى فينسق عملها بهذا الشكل أو ذاك على حـسب الظروف:

- إن ما تراكم من رجعيات متنافرة بطبيعتها كرجعيات وبنوعياتها المختلفـة بعهودهـا التاريخية مع ما يبرز بين شقوق هذه الرجعيات من كل أنواع الانتهازية يشكل مرتكزاً هاماً لتشتيت قوى الوطن العربي في الأقطار العربية ولتأخير تقدمه وتحرره في كـل قطر.
- أمام ضعف الرجعية العربية وتصاعد قوى الجماهير الكادحة المتعطشة إلى إنهاء حالة التخلف والتبعية وجد المستعمرون أن لا بد من الإمعان في تمزيق وطننـا العربـي، فطوروا الوطن القومي الصهيوني إلى دولة صهيونية تشطر أرضـنا إلـى شـطرين منفصلين عن بعضهما البعض. وهذه الدولة أي إسرائيل تشكل قاعدة من نوع خـاص يستخدمها الاستعمار الحديث لاستنزاف قوانا المادية في مكافحتها ولنقـع باسـتمرار تحت وطأة تهديدها فنتردد في توجيه كل نضالنا نحو العوائق الداخلية للتقدم، وللقيـام بالعدوان علينا من وقت إلى آخر عندما نجد في بلادنا الأخطار التي تهدد مشاريع هذا الاستعمار. ثم إن هذه القاعدة خاصة لها ميزة هامة في كونها مموهة أمام العالم تحت شكل دولة وشعب، الأمر الذي يمكن المستعمرين من شـن العـدوان علينـا و هـم مختبؤون وراءها: في العدوان الأخير علينا لا يقف الأميركان فـي الأمـم المتحـدة

كمتهمين مع أنهم هم الذين دبروا هذا العدوان بمساعدة كل من الدولتين الاستعماريتين الأخيرتين ألمانيا الغربية وبريطانيا، مما ساعد هؤلاء المستعمرين على استعمال هـذا الجهاز الدولي ضدنا نحن ضحية العدوان. يضاف إلى هذا أن قاعدة العـدوان الآنفـة الذكر تتمكن من الاستفادة مما حل باليهود على أيدي النازيين الألمان مـن اضـطهاد وتقتيل لاكتساب عطف الرأي العام العالمي ضد العرب بحشر الحركة الـصهيونية - الاستعمارية في الحركة التقدمية العالمية بحجة الدفاع عن اليهود "المضطهدين". ولسنا هنا بحاجة إلى القيام بدراسة عن مدى نشاط الحركة الصهيونية في العالم، فقد كتـب في هذا الموضوع الكثير من الأبحاث فأصبح بمثابة الأمر البديهي. إلا أنه من المفيـد أن نورد العبارات التالية لمراسل جريدة "الثورة" الدمشقية في إيطاليـا مـن رسـالة نشرتها هذه الجريدة في عددها الصادر في 31 تشرين الأول عام 1967:

- " في 21-10-1967 دعى الاتحاد الوطني لطلبة سورية – فرع إيطاليا – إلى مؤتمر أقامته دار الثقافة في ميلانو وقد تشكل وفد الاتحاد وذهب كمراقب في المؤتمر... وقد لوحظ أن وجهات النظر تكاد تكون واحدة، كلهم يهاجمون ديان وأشكول وإيبـان ثـم يعودون فيرددون بالضبط ما يقوله حكامهم: الاعتراف بإسرائيل، حرية الملاحة فـي قناة السويس، خليج العقبة ملك لهم الخ... كما لوحظ بأن هذا المؤتمر وعـن طريـق المندوبين القادمين من إسرائيل المندوبين "الاشتراكيين والشيوعيين" يحـاول تـشويه الوجه التقدمي الاشتراكي العربي ويحاول تمييع مواقفه الصلبة أمـام الـرأي العـام الإيطالي... وفي مؤسسات أخرى نجد أن دولة شذاذ الآفاق تـدفع الأمـوال الطائلـة وترسل المندوبين والممثلين المناسبين لكل حزب من الأحزاب ليتكلموا حسب منطـق كل منها .. فتارة بأسم الاشتراكية والشيوعية وطوراً من وراء واجهة أحزاب دينيـة متعصبة وضد الاشتراكية .."

ومن الطبيعي أن لا يستطيع الاستعمار العالمي أن يدافع عن قواعده الكلاسيكية أمـام الـرأي العام العالمي بهذه السهولة التي نصادفها في مثل هذه المؤتمرات عندما يأتي مندوب إسـرائيل كمندوب "دولة وشعب"، لا تستطيع أميركا مثلا أن ترسل مندوبين "اشـتراكيين" و"شـيوعيين" عن قاعدة غوانتانامو في كوبا إلى مؤتمر كمؤتمر ميلانو الآنف الذكر في الوقت الذي تـؤدي فيه إسرائيل ذات الدور العدواني الذي تؤديه تلك القاعدة الأميركية الكلاسـيكية فـي شـبكة الرأسمالية العالمية، ومن هنا نلمس الأهمية الفائقة لمثل هذه القاعدة الخاصة فـي مخططـات الاستعماريين العدوانية.

- أقام المستعمرون في البلاد العربية وحول البلاد العربية الكثير من القواعد العـسكرية الكلاسيكية وخصصوا الأساطيل البحرية لتجوب بدون انقطاع مياه البحـر الأبـيض

المتوسط قرب شواطئنا و "لتزور" موانئنا عند كل أزمة من الأزمات التي تقـع فـي بلادنا: زيارات الأسطول السادس مثلاً لميناء بيروت.

- هنالك قوات حلف الأطلسي في أوربا التي استخدمها المستعمرون أكثـر مـن مـرة ضدنا: العدوان على قناة السويس عام 1956 ونزول القوات الأميركيـة فـي لبنـان والقوات الإنجليزية في الأردن في ثورة 14 تموز 1958 وتدخل هذا الحلـف لقمـع ثورة الجزائر.
- أقام المستعمرون حلف بغداد السنتو بعد سقوطه إثر ثورة خلفه حلف 14 تموز الآنفة الذكر وذلك: لتهديد وقمع حركات التحرر الوطني في بلاد منطقة الحلـف العربيـة، ولقمع حركات التحرر الوطني في البلاد النامية المشتركة بـالحلف، ولاتمـام حلقـة الحصار العالمي حول البلاد الاشتراكية.
- غطى المستعمرون وطننا العربي بشبكة من قواعد التجسس والتخريب والدس والتآمر على كل حكم ينتهج سياسة معادية للاستعمار في بلادنا. وتنشط هـذه القواعـد فـي الأوساط الرجعية لحبك المؤامرات كما تنشط في الأوساط التقدمية للتخريب والتجسس وذلك بكل ما جهزنا به الاستعمار من إمكانيات مادية: تشكل السفارات الاسـتعمارية مثلاً في كل بلد عربي وعلى رأسها السفارات الأميركيـة مـع فـروع الاحتكـارات العالمية في بلادنا، خاصة منها فروع احتكارات النفط التي تقـوم باسـتخراج الـنفط العربي ونقله إلى الأسواق العالمية، نقول تشكل كل هذه المؤسسات أهم قواعد انطلاق الجواسيس والمحرضين والمخربين.

هذه هي القوى الأساسية التي يجب أن نعد لها كل ما نستطيع لنتغلب عليها. انهـا بعـض أذرع الرأسمالية العالمية المنتشرة في كل أنحاء العالم الرأسمالي وعلينا أن نستأصلها مـن جذورها لنتخلص من التخلف. وهنا تبرز أمامنا القضية التالية: نحن شعب نام لا نملك في الواقع ماتملكه الدول الاستعمارية من إمكانيات مادية فكيف نعوض هذه الإمكانيات التـي نفتقر إليها عندما نجابه تلك القوى الاستعمارية؟ كثيراً ما بحثت ونوقشت هذه القضية في مختلف الأشكال، إلا أن الأجوبة عليها كانت في أكثر الأحيان بعيدة عن واقع الحياة الـذي نحياه. فنحن كما قلنا شعب نام وما فترنا لحظة عن النضال والكفاح ضد جميـع أعـدائنا للحصول على حقوقنا المسلوبة التي من أهمها حقنا في أن نقرر مـصيرنا بأنفـسنا دون تدخل في شؤوننا الداخلية من أية جهة كانت وفي أي ظرف كان. هذه هي الحيـاة التـي عشناها ونعيشها وهي حياة شاقة وصعبة على المكافحين. إلا أن الكفاح بجميع أشكاله هو الوسيلة الوحيدة التي يعوض بها المتخلف المقهور ما يفتقر إليه من الوسائل المادية عندما يجابه المستعمر بكل ما يملكه من قوى مادية، وهو أيضاً في ظروف ملائمة الوسيلة التي

لا تقهر أبداً عندما يتصاعد ليبلغ الأشكال الثورية التي تفجر طاقات الشعب الهائلة التي لا تحصى.. نقول الوسيلة التي لا تقهر أبداً لأن المستعمر الظالم وإن ملك الكثير من القـوى المادية فإنه يبقى مذموماً مدحوراً حتى من قبل شعب بلاده المقهور أيـضاً بظلمـه، فـلا يستطيع أن ينقل إلى ساحة القتال كل ما يمكن أن تبدعه الجماهير مـن امكانيـات تبـدع للعدوان. ثم ان على المعتدي أن يتورط بمشاكل لا تنتهي لإعداد ونقل قواه من بلاده إلـى بلاد الغير، وعندما تحسن ضحيته تنظيم مكافحته وتكون في ظروف مادية كافية فإن كـل ما يمكن نقله من قوى إلى أرض هذه الضحية يصبح محصوراً بكل أنواع الشر التي تنبع من حوله ومن تحته. ولا بد عندئذ من أن تستنزف قواه مهما بلغ مداها وغناهـا، ولا بـد عندئذ من أن تتحطم عدوانيته في أرض القتل وفي بلاده حيث يثور عليه شـعبه المتحمـل الأول لأعباء العدوان. وعندما تكون أرض الضحية كأرض الـوطن العربـي الواسـعة الأرجاء بكل ما فيها من طاقات كبيرة وعديدة يمكن وضعها زمناً طويلاً جداً فـي وجـه المعتدي، وعندما يكون المعتدي دولة كالولايات المتحدة الأميركية تبـوء دومـاً بغـضب ولعنة جميع الشعوب لعداونيتها فهي لذلك معرضة لتوزيع قواها هنا وهناك فـي جميـع أنحاء العالم الرأسمالي، فإن كفاح أمتنا ضدها لا بد منته إلى النصر فيما إذا أحسن تنظيمه وحشدت له كل طاقاتنا، وفيما إذا صبرنا عليه الزمن الكافي.

وما انتظر ضعيف مقهور أبداً أن تبلغ قوته المادية سوية قوة ظالميه ليبدأ مقاومتـه لهـذا الظالم، و إلا لما تخلص أبداً ضعيف من براثن قوي على مدى التاريخ. فإن تقدمه المادي يبقى معطلاً فلا يستطيع إذن أن يبلغ سوية ظالمه المادي ليحشد مثله قوى عالية التكنيـك تتغلب عليه أو تكافحه على الأقل. فلا جدوى إذن للضعيف من الانتظار ليقـاوم عـدوان القوي بحجة تنمية قواه "تكنيكياً"، لأن هذه التنميـة لا تتحقـق ولا تـتم إلا علـى دروب التجربة، دروب الكفاح. وهنا يتبين لنا بجلاء الخطأ الكبيـر الـذي وقـع فيـه بعـض "الستراتيجيين" العرب عندما قالوا إن على أمتنا أن تعد جيشاً قوامه – 120- فرقة للقضاء على إسرائيل وذلك بحجة أن المعركة الدائرة بيننا وبين هذه القاعدة العدوانية هـي فـي الواقع معركة بيننا وبين الولايات المتحدة الأميركية، وكل الاستعمار العالمي فيجـب إذن أن نتوقع الاشتباك المباشر مع هذه القوى الاستعمارية عندما نشتبك مع إسـرائيل. وكـأن الدنيا ستنتظرنا ريثما نقوم بإعداد هذا الجيش الكبير فلا يتآمر علينا الاستعمار ولا تتـآمر علينا الرجعية لتخريب كل ما نبنيه بين الفينة والفينة. ثم إن إعداد مثل هذا الجيش الكبيـر يتطلب إعداد صناعة ثقيلة تضعنا في مصاف أرقى الأمم الصناعية، الأمر الـذي نطمـح إليه ونكافح لتوفير ظروف بنائه للتخلص من التخلف. أي أن القائلين بهذه النظرية يقولون لنا عملياً: انتظروا لنبلغ سوية المستعمرين المادية وعندئذ نبدأ بمكافحتهم للتخلص منهم!..

لكن كيف نبلغ هذه السوية دون أن نكافح ونقاتل كل هذه القوى الرجعية العالمية والمحلية؟ كيف نبلغ هذه السوية دون أن نكافح ونقاتل لنتحرر من شبكة الرأسمالية العالمية ونلتحق بشبكة الاشتراكية العالمية، السبيل الوحيد لبلد متخلف ليتقدم إلى سوية المتقدمين؟ وعندما يبلغ رقينا المادي هذه الدرجة هل تبقى لدينا حاجة للنضال والكفاح من أجل الحرية التامة التي نكون قد بلغناها عندئذ؟ أما إذا كان هذا الجيش المقترح سيقوم على التموّن من الأمم الصناعية الراقية ليحصل على معظم احتياجاته من معدات فنية وأسلحة فإنه قد يترتب علينا عندئذ أن نستأجر كل أساطيل النقل في العالم لسد هذه الاحتياجات!.. إننا بمثل هذه النظريات المحزنة نقع في عالم الخيالات والأوهام. أما الكفاح فيبدأ دوماً بما لدى الضحية من وسائل جاهزة. وهذه الوسائل بذاتها تتطور وترتقى بحسب الاحتياجات المفروضة على الضحية بتصاعد الكفاح وتطوره.

ومما لا ريب فيه أن طور الاستقلال السياسي الذي بلغه الوطن العربي بكفاح شعبنا في كل أقطاره حقق له – كما تحقق لكل الشعوب النامية – مكاسب لا يستهان بها أبداً. انها مكاسب الشعوب المستضعفة في مرحلة تحول الجملة الإنسانية إلى الاشتراكية. وإن إمكانية إقامة جهاز دولة وطني يخدم مصالح الشعب بقيادة حركة التحرر الوطني في هذه المرحلة مع كل ما يتبع هذا الجهاز من قوى عسكرية نظامية وأجهزة أمن واقتصاد وسياسة الخ... هي في طليعة المكاسب الأنفة الذكر. إلا أن علينا أن لا نقع في الأوهام فنستخدم أجهزة الدولة بذات الكيفية التي تستخدمها بها الدول المتقدمة القوية. ذلك لأنه لا بد لنا من أن نكيف هذه الأجهزة لتتلاءم مع ظروف تخلفنا وظروف إمكانية وقوع العدوان علينا في كل آن: إن جيوشنا مثلاً مع الأجهزة الأخرى للدولة يجب أن تكون من المرونة بحيث يمكنها أن تخوض معارك الدفاع عن الوطن بانسجام تام مع القوى الشعبية المسلحة مع استمرار كل النشاطات اللازمة لإدامة حياة المجتمع إدامة مقاومة الشعب إلى أطول مدة لازمة للحصول على النصر النهائي. الأمر الذي يتطلب عناية كبيرة في تنظيم وتنسيق جميع قوى المقاومة: من العسكرية النظامية إلى كل قوة يمكن أن يفجرها الشعب في وجه المعتدين الغاصبين لتخليص أرض الوطن من براثنهم.

وإن تحرير الأقطار العربية بفصلها عن شبكة الرأسمالية العالمية وإقامة العلاقات الاشتراكية فيها عملية واحدة وليست عمليات بعدد الأقطار العربية: كل عملية انفصال قطر عن شبكة الرأسمالية العالمية تشكل جزءاً من العملية العامة للانفصال الوطني العربي بكليته عن هذه الشبكة والعملية التي ستنتهي حتماً بقيام الدولة العربية الاشتراكية الكبرى على جميع أراضي الوطن العربي بما فيها الأراضي المغتصبة وفي طليعتها فلسطين المحتلة. وإن كل حركة تحرر تقوم على أرض وطننا الكبير لا تستهدف في

خطها النضالي تحقيق وحدة التراب العربي في الدولة الآنفة الذكر هي حركة مبتورة وإن كانت مفيدة في مكافحتها الاستعمار قبل تحقيق تلك الدولة العربيـة الاشـتراكية الكبـرى عندما تكون تقدمية بالنسبة للقطر الذي تقوم فيه. والوحدة العربية ليـست مجـرد قـضية وجدانية بل هي ضرورة اقتصادية وإنسانية: ضرورة اقتصادية بسبب تكامل أقطار الوطن العربي اقتصادياً وضرورة إنسانية لأن الأمة العربية تامة التكوين علـى أرض الـوطن العربي وعليها نصيب كبير من العبء الملقى على عاتق الإنسانية في المرحلة التاريخيـة الحالية من عبء التخاص نهائياً من الرأسمالية أخر أنظمة الظلم والقهـر. إن أن تحقـق الوحدة العربية الاشتراكية لا يكون إلا بنضال الكادحين العرب وكفاحهم وثـوراتهم ضـد الاستعمار العالمي وضد كل أنواع الرجعية والانتهازية، ولا يكون أبـداً بانتظـار تمـام التحول العالمي إلى الاشتراكية بفضل هذه الدولة الاشتراكية أو تلـك أو بفـضل انهيـار النظام الرأسمالية في العالم من تلقاء ذاته لأن هذا الانهيار مرتبط بكفاح الشعوب وخاصة منها شعبنا العربي.